غزوات المصطفى ﷺ

(٥)

غَزْوَةُ بَنِي المُصْطَلِقِ

« المُرَيْسِيْعِ »

الدكتور

محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

نَحْنُ أَحَقُّ بالزّعَامَةِ مِنْ مُحَمّد!!

يوماً بَعْدَ يَوْمٍ كَانَتِ الدَّعْوَةُ الإِسْلامِيَّةُ تَنْتَشِرُ انْتِشَارَ النَّارِ في الهَشِيمِ ، وَالنَّاسُ يَدْخُلونَ في دينِ اللهِ أَفْراداً وَجَماعَاتٍ ، مِمَّا سَبَّبَ نُشُوءَ الحِقْدِ وَالحَسَدِ في قلوبِ زُعَمَاءِ القَبَائِلِ ، وَخَاصَّةً صَنادِيدُ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ ، فَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَحَقُّ بالزّعَامَةِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم!

وَهٰذا ما جعلَ قلبَ (الحارث بْنِ ضِرارٍ) -وَهُوَ زعيمُ بني المُصْطَلِق ، إِحْدى القَبَائِلِ الكبيرة - يكادُ يَتَفَطَّرُ ، حيثُ كانَ يرىٰ في كلِّ يَوْمٍ أَوْ يَسْمَعُ أَنَّ القبيلةَ الفُلانِيَّةَ قَدْ دَخَلَتْ في

الإِسْلامِ ، وَأَنَّ المجموعةَ الفُلانيَّةَ قَدِ انْقَلَبَتْ عَلَىٰ مبادِىءِ الجَاهِلِيَّةِ ، وَأَعْلَنَتِ الشَّهادَتَيْنِ...

إِنَّهُ يَخافُ عَلىٰ زَعَامَتِهِ وَمَجْدِهِ ، لِذٰلكَ أَخَذَ يُحَرِّضُ النَّاسَ ، وَيَبْذُلُ الأَمْوَالَ ، وَيُجَنِّدُ الجنودَ ، مِنْ أَجْلِ الثَّأْرِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلواتُ اللهِ عليهِ ، وَفي الوَاقعِ راحَ الكثيرُ مِنَ الشَّبابِ وَالفِتْيانِ يَلتَفُّونَ حَوْلَهُ ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَكسِبَ بَعْضَ القَبَائِلِ العَرَبيَّةِ إِلَىٰ صفِّهِ .

* * *

هَيَّا إِلىٰ المُرَيْسِيعِ

وَلمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّ بَني المُصْطَلِقِ يَجْمَعُونَ الجموعَ لِقِتَالِهِ ، أَمَرَ صَحَابَتَهُ بالاسْتِعْدادِ وَالخُروجِ ليلاً إِلَيْهم .

وَأَرْسَلَ وَاحداً مِنْهُمْ ، واسْمُهُ (بُرَيْدَةُ) لِيَقُومَ بِعَمَلِيَّةِ الاسْتِطْلاعِ ، وَلَمَّا عَادَ أَخْبَرَ الرَّسُولَ بِخَبَرِهِمْ .

فَكانَ عَدَدُ الَّذينَ سَارُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَزْيدُ عَنْ سَبْعِمِئَةِ مُقَاتِلٍ ، وَمَعَهُمْ بَعْضُ الفُرْسَانِ .

وَكانَ شِعَارُ المُسْلمينَ وَهُمْ في الطَّرِيقِ إِلىٰ

نَبْعِ الماءِ الَّذي يُقالُ لَهُ : المُرَيْسِيعَ هُوَ : يا مَنْصُورُ أَمِتْ أَمِتْ .

وَلَمَّا الْتَقَىٰ الفَرِيقَانِ عَلَىٰ نَبْعَةِ المَاءِ ، أَمَرَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ فَنَادَىٰ مُخاطِباً بَني المُصْطَلِقِ : قُولُوا لا إِلٰهَ إلا اللهُ تَمْنَعُوا بِهَا أَنْفُسَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ ، فَفَعَلَ عُمَرُ ، فَمَا كانَ مِنْهُمْ إلا العِنَادُ وَالاسْتِكْبَارُ ، بَلْ زَادَتْ وَقَاحَتُهُمْ فَتَنَاوَلَ أَحَدُهُمْ سَهْماً وَرَمَىٰ بِهِ المُسْلِمِينَ!

فَرَدَّ عليهِ المُسْلمونَ بِالنَّبْلِ ، وَأَمَرَ الرَّسُولُ المُسْلِمينَ بِأَنْ يَشُدُّوا عَليهم شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ .

وَمَا هِي إلا دَقَائِقُ حَتَّىٰ كانَ عَدَدٌ لا بأسَ بِهِ مِنْ بَنِي المُصْطَلِقِ قَتْلَىٰ عَلَىٰ الأَرْضِ ، وَعَدَدٌ آخَرُ في عِدَادِ الأَسْرَىٰ .

أَمَّا الغَنَائِمُ فَكَانَتْ كَثيرةً جِداً ، إِلَىٰ دَرَجَةِ أَنَّ كُتَّابِ السِّيرَةِ قَالُوا :

كَانَتِ الإِبِلُ أَلْفَي بَعيرٍ ، والشَّاءُ خَمْسَةَ آلافِ شَاةٍ ، فَقَسَمَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم ذلكَ علىٰ المُسْلمينَ ، فكانَ نَصِيبُ الفَارسِ سهماً واحداً ، وَلِفَرَسِهِ سَهْمَانِ ، وَكانَ نَصِيبُ الرَّاجِلِ سَهْماً واحداً .

وَكَانَتْ مُدَّةُ غِيابِ المُسْلِمينَ عَنِ المَدِينةِ المنوَّرةِ ثمانيةً وَعِشْرينَ يَوْماً .

أَمَّا أَهَمُّ الأَحْدَاثِ الَّتي جَرَتْ أَثْنَاءَ غَزْوَةِ بَني المُصْطَلِقِ ، فَهِيَ :

* * *

بَرَكَاتُ جُوَيْرِيَّة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

وَلَمَّا قَسَمَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم سَبَايَا بَني المُصْطَلِقِ ، وَقَعَتْ (جُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الحَارِثِ) في السَّهْمِ لثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ بْنِ الشَّمَّاسِ ، فَحَاوَلَتْ أَنْ تَفْتَدِي نَفْسَهَا بالمالِ ، فَأَبَىٰ ثَابِتٌ .

فَجَاءَتْ (جُوَيْرِيَّةُ) إِلَىٰ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم ، وَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَالَتْ : يا رَسُولَ اللهِ! أَنَا جُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الحَارِثِ بْنِ أَبي ضِرَارٍ سَيِّدِ قَوْمِهِ ، وَقَدْ أَصَابَني مِنَ البلاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَنْكَ ، فَوَقَعْتُ في السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ ،

فَكَاتَبْتُهُ علىٰ نَفْسِي ، فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَىٰ كِتَابَتِي .

فقالَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ : « فَهَلْ لكِ في خَيْرٍ مِنْ ذٰلِك ؟ » .

قالَتْ : وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟

قالَ : « أَقْضِي عَنْكِ كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ » .

قَالَتْ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ .

قالَ : « قَدْ فَعَلْتُ » .

تقولُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْها : وَكَانَتْ جُوَيْرِيَّةُ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلاَّحَةً لا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلاَّ أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ .

وَلَمَّا انْتَشَرَ خَبَرُ زَوَاجِها مِنَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ النَّاسُ : أَصْهار رَسُولِ الله! فأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الأَسْرَىٰ .

قالتْ عَائِشَةُ رضيَ اللهُ عنها : فَلَقَدْ أُعْتِقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِئَةُ بَيْتٍ مِنْ بَنِي المُصْطَلِقِ ، فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ عَلَىٰ قَوْمها بَرَكَةً مِنْها .

وَلَمَّا وَصَلَ خَبَرُ أَسْرِهَا إِلىٰ أَبِيها الحارثِ ، جَمَعَ الأَمْوالَ والإِبِلَ ، وَجَاءَ بِها إِلىٰ المَدِينَةِ المنوَّرَةِ يَبْتَغِي أَنْ يَفْدِيَها .

وَقُبيلَ أَنْ يَصِلَ إِلَىٰ المَدِينَةِ نَظَرَ إِلَىٰ الإِبِلِ ، فَأَعْجَبَهُ بَعيرانِ مِنها ، فَغَيَّبَهُمَا في شِعبٍ مِنْ شِعابِ العقيقِ ـ نَاحِيَةٍ مِنْ نَواحي المدينةِ ـ ثُمَّ أَتَىٰ الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ : يا مُحَمَّدُ! أَصَبْتُمُ ابْنَتِي وَهٰذا فِدَاؤُهَا .

فقالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « فَأَيْنَ البَعِيرانِ اللَّذانِ غَيَّبْتَهُمَا بالعَقيقِ في شِعْبِ كَذَا وَكَذَا ؟ » .

فقالَ الحارِثُ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّكَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ، فَوَاللهِ مَا اطَّلَعَ عَلَىٰ ذٰلِكَ إِلاَّ اللهُ .

فَأَسْلَمَ الحَارِثُ وَأَسْلَمَ مَعَهُ ابنانِ لَهُ وَنَاسٌ مِنْ قَوْمِهِ ، وَأَرْسَلَ إِلىٰ البعيرينِ ، فَجاءَ بِهِمَا ، فَدَفَعَ الإبلَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم .

* * *

افْتِضَاحُ المُنَافِقِينَ

وَفَرِحَ المُسْلِمونَ بِنتائِجِ غزوةِ بني المُصْطَلِقِ ، لٰكِنَّ المنافقينَ كانُوا غيرَ مَسْرورينَ ، إذاً : لا بُدَّ مِنْ تَدْبِيرِ أَمْرٍ مُزْعِجٍ!!

لَقَدْ وَقَعَ خِلافٌ بَيْنَ أجيرٍ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ وَاسْمُهُ جَهْجَاهُ ، وَبَيْنَ حَليفٍ لبني عَوْفٍ من الخزرجِ واسْمُهُ سِنَانُ ، وَكانَ الخلافُ عَلَىٰ الماءِ .

فَتَشَاجَرَا وَتَضَارَبَا ، فَصَرَخَ الحَلِيفُ : يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ، وَصَرَخَ الأجِيرُ : يا مَعْشَرَ المُهاجِرِينَ ، وعِنْدَئِذٍ اسْتَغَلَّ المنافقونَ تلكَ

الحادِثَةَ الصَّغِيرَةَ ، وَرَاحُوا يَحُوكُونَ خيوطَ الفِتْنَةِ ، لٰكِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ مُسْرِعاً وَقَالَ : « ما بالُ دَعْوَىٰ جَاهِلِيَّةٍ ؟ » ، قالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ ضَرَبَ رَجُلٌ من المهاجرين رَجُلاً من الأنْصَارِ ، فقالَ : « دَعُوهَا ، فَإنَّها مُنْتِنَةٌ » .

فَسَكَنَتِ النُّفُوسُ ، واصْطَلَحَ الفَرِيقانِ ، وَكَأَنَّ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ ، لٰكِنَّ رأسَ المُنافقينَ (عبدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ ابْنَ سَلُول) لم يُعْجِبْهُ ذٰلك ؛ فَهُوَ يَتَمَنَّىٰ أَنْ تَشْتَعِلَ الفِتْنَةُ بَيْنَ المُسْلِمينَ ، فَرَاحَ يَقُولُ بَيْنَ النَّاسِ : وَاللهِ مَا رَأَيْتُ كَاليَوْمِ مَذَلَّةً ، قَدْ نَافَرُونَا ، وَكَاثَرُونَا في بَلَدِنَا ، وَاللهِ مَا نَحْنُ وَهٰؤلاءِ إلاَّ كَمَا قالَ القَائِلُ : سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ ، لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَىٰ المدينةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأَذَلَّ!!

فَأَنْزَلَ اللهُ تعالىٰ سُورَةَ المُنَافِقِينَ ، الَّتي فَضَحَتْهُمْ وَكَشَفَتْ سَرَائِرَهُمْ ، مِصْدَاقُ ذٰلِكَ قولُه تَعَالَىٰ : ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المنافقون : ٤-٥] .

والحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ

* * *